دراسة مفهوم الحُبّ في مدرسة عين القضاة الهمدانيّ الفكريّة

الدكتور رامين محرمى (الكاتب المسؤول)
أستاذ قسم اللّغة الفارسيّة وآدابها، جامعة المحقّق الأردبيلىّ، أردبيل، إيران
moharami@uma.ac.ir

الدكتور ابراهيم دانش
أستاذ مساعد، قسم اللّغة الفارسيّة وآدابها، جامعة المحقّق الأردبيلي، أردبيل، ايران
e.danesh@uma.ac.ir

الطالبة: سارا نوروزي
طالبة الدكتوراه، ايران، اردبيل، جامعة المحقق أردبيلي، قسم اللّغة الفارسيّة وآدابها
s.nowrouzi1372@gmail.com

الكلمات المفتاحية: العشق . عين القضاة الهمدانى، مدرسة الجمال، العرفان، التمهيدات.

كيفية اقتباس البحث
محرمى ، رامين، ابراهيم دانش ،سارا نوروزي، دراسة مفهوم الحُبّ في مدرسة عين القضاة الهمدانيّ الفكريّة،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

An investigation of the Concept of Love in Ayn al-Qudat Hamadani School of Thought

Ramin Moharami(Responsible writer)
Department of Persian Language and Literature, Mohaghegh Ardebili University, Ardebil, Iran
s.nowrouzi1372@gmail.com

Dr Ibrahim Dansh
Department of Persian Language and Literature, Mohaghegh Ardebili University, Ardebil, Iran
e.danesh@uma.ac.ir

Sara Noruzi
Ardabil /Iran/ Mohagheg Ardebili University
s.nowrouzi1372@gmail.com

Keywords : Love, Ayn al-Quzat Hamadani, concept of beauty, mysticism, Tamhidat.

How To Cite This Article
Moharami, Ramin, Ibrahim Dansh, Sara Noruzi ,An investigation of the Concept of Love in Ayn al-Qudat Hamadani School of Thought, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

In Ayn al-Quzat Hamadani' school of thought, the presence of love is conceived of as the cause life and the absence of this divine gift is tantamount to the complete destruction of existence. In this school of thought, divine love is construed as being inherent and instinct and, contrary to the opinion of some scholars who consider love as the result of seeing the beauty of beloved; Ayn al-Quzat Hamadani considers it as

being intrinsic in the heart of human's existence and believes that its outward reflection is manifested in the form of the beauty of the beloved. He considers human love for God as the only worthy way of being united with God, and one of the special points of his thinking, which is rooted in mystical studies, is the manifestation of this love in virtual love such that the lover can only exist with the presence of the beloved. The intellectual school of Ayn al-Quzat is based on love such that love is the beginning and end of everything. According to him, only through love, God seekers can find the real existence and understand the truth. The present study, using the descriptive-analytical method, attempts to investigate the concept of love in Ayn al-Quzat Hamadani's school of thought.

الملخَّص

إنَّ وجود قضية العشق العميقة مدعاة للحياة كما فقد هذه الموهبة الإلهيّة يعادل الزّوال التّام للوجود فى مدرسة عين القضاة الهمدانى الفكريّة فنرى العشق الإلهىّ في هذا التّنظيم العقلى ذا صبغة ذاتيّة وفطريّة خلافاً لموقف بعض أهل المعرفة الّذين يعتقدون أنَّ هذا العنصر البحت الموهوب هو نتيجة رؤية الجمال الصّبيح.إنّ عين القضاة يحسب العشق فى جوف الكيان الإنسانى ذاتيّاً ويرى أنّ واجهته الظّاهريّة تبرز فى قالب جمالات المعشوق.إنّ عين القضاة يرى مغازلة الإنسان لوجود الإله القدّوس الطّريق الوحيد والجدير لوصال الرّب ، ومن مهمّات تختصّ بتفكيره والّتى تتمتّع بجذور عميقة فى البحوث العرفانيّة أنَّ تجلّى هذا التّيار وظهوره يكمن فى العشق المجازى بحيث لا يمكن أن يُتصوَّر وجود العاشق إلّا بوجود المعشوق . فالأساس الفكرى لعين القضاة يعتمد على طريق العشق والأمور كلّها تنتهى إلى العشق من المبتدأ إلى المنتهى.إنّ السّالک لا يقدر على الطّيران نحو الوجود الحقيقى إلّا بجناح العشق ويُوفَّق لشهود العالم الحقيقى بطىّ مراحله . إنّنا نريد فى هذا المقال أن نبحث عن مدلول العشق فى مدرسة عين القضاة الهمدانى الفكريّة معتمداً على الأسلوب الوصفى _ التّحليلى .

المقدّمة

فى النّظام الفكرى لأهل المعرفة ، إنّ العشق يماثل موهبة قد تجلّى من مصدر الفيض وشمل منظومة الكون فيُظهِر نفسه فى قالب التّجلى الذّاتى والوصفى والفعلى، فتتظاهر قوّة الحبّ الشّديدة فى أشكال شتّى وكيفيّات مختلفة كالجاذبة والشّدّة الغريزيّة والشّوق والودّ الإنسانى واللّوعة الباطنيّة لأن يصل إلى المحبوب فى عالم الكون.فالعشق فى مجراه السّيّال وفاعليّته يُصنَّف فى نظرة أهل المعرفة إلى ضروبٍ وتُسمّى بأسماء وألقاب متضاربة كالحبّ والوُدّ والهوى والخُلّة .

إنّ الحكماء المُدقّقين التّابعين للفكرة العرفانيّة يرون العشق ثابتاً متجذّراً فى ذات كلّ كائنٍ وفطرته كما يعتقدون بسَرَيانه وشموليّته فى ذرّات العالم برمّتها.فعلى رؤية هؤلاء إنّ الحبّ ومرتبته القويّة والشّديدة _ وهو العشق_ يُعتبر السّبب الأصلى لبقاء كينونت العالم وأسّ الحياة وقاعدتها .إنّ الحركات المتنوّعة تتأثّر من العشق الفطرى والحركة الجوهريّة والحركة النّازلة والصّاعدة للكون _فى المادّة والمجرّدات _ على أساس العشق وسريانه

إنّ الإنسان من سائر الكائنات يستطيع أن يُحرِز قصب السّبق فى العشق والتّتييم لما فيه من الشّموليّة ومواصفاته الممتازة الذّاتيّة الموهوبة ، كما يقدر أن يحصل على الحبّ والعشق الشّامل والكامل الّذى يُعَدُّ غاية هذه الموهبة العالية الّتى أُودِعَت فى طيّاته ، كما يستطيع أن يُحيىَ هذا الأمر الفطرىّ ويُنَبِّهَ العشق بمصدر الكمال وينبوع جمال عوالم الكون ألا وهو الذّات القدسىّ الإلهى ، وهكذا يُعتبر الحبّ والعشق الإلهىّ من أهمّ المقامات بل أخطرها.

يُعتبر عين القضاة الهمدانى من كبار العلماء وخبراء المعرفيّين الّذين أحدثوا تيّاراً فكريّاً فى القرن السّادس والّذى يرى العشق رائد السّالكين ومن جاب طريق العرفان وعدَّه ضرورة الطّريق وما يُميِّز الإنسان عن سائر الكائنات ويرى العقل _ وهو سبب الفهم والمعرفة _ قاصراً محروماً عن إدراک العشق كما يعجز اللّسان عن شرحه وبيانه.

العشق في نظرة عين القضاة هو خاصيّة الانسان واهتمّ بعشق الانسان الى الحق مبدئيا حالما استقبل من عقيدة الحكماء ويرى الأفلاك واالعناصر الاربعة وهي الماء والتّراب والرّيح والنّار مشتاقة الى الله كما يرى العشق الكبير(عشق الإله الى العباد والعشق الصغير (عشق العباد الى الى الإله) مترابطين ذا علاقه ثنائيّة لا يمكن ان يتحقق احدهما دون الآخر.ان العشق في رؤيته واجب على كل احد لان العشق طريق الوصول الى حضرة الحق والوصول الى حضرة الحقّ واجب ضرور. والعشق المجازي هو ممارسة الوصول الى العشق الحقيقي والاستعداد للحصول عليه حسب ما يرى فوجود الحجب والعراقيل على طريق العاشق ليست الا لتنضج بصيرته ويطيق ان يحمل عبء لقاء الله على كاهله.

خلفيّة البحث

برغم البحث عن العشق – هذه الحقيقه المنشّطة – لقد بقي كثير من أبعاده غامضة غير مكشوفة فبعد ان تمّ الاستقراء اتّضح أنّه لم يدون أيّ كتاب او مقالة عن حقيقة العشق وحالاته من منظورعين القضاة وإن نجد مواضيع مبعثرة في حقل اعمال عين القضاه ومبادئه الفكريّة الا وهي :

– المقاله المسمّاة بـ«مباني عرفاني هستي شناسي عين القضاة همداني»

١٣٨٩ ، فدوى صبا ، حمزئيان عظيم وخياطيان قدرت الله.

هذه الدراسه تدلّ على أنّ عين القضاة كان رائدا في بعض البحوث النظريّة الهامّة في العرفان بما طرح من آراء بديعة كالجوهر الوحيد ، التجلي الواحد ، عدم الملال بسبب عدم التكرار في التّجلي ونظرية الخلق المدام.

–المقاله المسماة بتفسير عالم مثال وتمثّل در تمهيدات عين القصاة همداني ربيع زاده رؤيا حيدري فاطمه

حاول هذا البحث ان ينقّب مدلولات عالم المثال من منظور عين القضاة وان يبيّن وظيفتهما المختلفتين

–المقالة المسماة بـ «بررسي وتحليل زبان عرفاني در آثار عين القضاة همداني» مير باقري فرد سيد علي نيازي شهرزاد انّ الكاتبين قد حاولا في بحثهما هذا فحص رؤية عين القضاة في اللّغة وكيفيّة البيان وأن يقوما بتحليل اعماله من الناحيه اللغويّة وتبيينها.

مدلوليّة العشق:

هناك كثيرٌ من المدلولات الّتي لا يمكن ان تُعرَّف تعريفا دقيقا والعشق من هذه المدلولات التي اذا نريد ان نُعرِّفه فلا بدّ ان نأتى بآراء كلّ الخبراء والعرفاء والمتدقّقين والفلاسفة وغيرهم والّتي قد جمعت في قواميس المصطلحات ومع هذا فليس من المتأكّد أن تستطيع كلّ هذه الإيضاحات والتعاريف في باب العشق أن توصل الجميع إلى ادراك صحيح كامل من العشق إن التّصوّف الذي شرع في البداية مصحوبا بزّهد جافّ اجتذب اليه عنصر الحبّ تدريجيّاً وإن كانت الصّوفيه تتحدّث عن الحبّ شاكّة متردّدة بادئ ذي بدء ولكن علاوة على انّه كان متناغما مع القلوب المحترقة للعرفاء والعاشقين والمحبّين فاصبح أخصَّ مضمونٍ أساسيٍّ فى كلام العرفاء[١].

إنّ العرفاء يرون أنّ الحبّ اذا كمُل يُسمَّى عشقا وإذا اكتمل العشق ينتهي الى الفناء في ذات المعشوق والوحدة بين العشق والعاشق والمعشوق[٢] إنّ العشق فهو من المضامين الاصليّة في الشعر الفارسيّ، فنرى الشعراء الفارسيّين من اوّل تاريخ الشعر الدّري اختاروا العشق كمضمون اساس وأنشدوا قسماً كبيراً من القصائد والرباعيّات والغزليّات ومثنوياتهم في وصف العشق واوصاف المعشوق وحالة العشق[٣]

«إنَّ العشق فهو كيفيّة حياة الكون وإذا أدركنا مفهوم العشق المتّسع فيمكننا أن نقول : كلّ هياج وجوىً يذهب بكلّ ظاهرة فى الكون إلى الكمال وكلّ جهد نراه فى الطّبيعة يوصل

الكيفيّات – بين مكوّنات الطّبيعة– إلى الرّفعة ليس له سبب إلّا العشق فهذا الجوى والطّفرة والإكتمال يُسمَّى بالعشق ». «فذاك الدّافع الّذى كان موجوداً قبل أن يبدأ تاريخ حياة الإنسان ، يمتدّ خلفيّة وجوده بقدر سابقيّة وجود الكون وذاك الحافز الّذى لا يجد ذرّة فى الكينونة خارجة عن أمره الطّبيعىّ وحقيقة وموهبة خالدة تحلّقت على خلق العالم ودَفَعَه إلى دوَران دافع – حسبما يريد – وذاك المعبود القديم الّذى لا يزال منتعشاً طريّاً رغم طول عمره وكِبَرِ سنّه ليس إلّا العشق» [٤].

تسمية العشق:

يقول محى الدّين العربى : «من قام بتعريف العشق لم يعرفه ومن لم يذق منه جرعة ما دراه ، ومن يدّعى أنّه ارتوى منه ما عرفه فهو شراب لا يُروى أحداً»[٥] يجدر بنا أن ننقل كلام شيخ الإشراق الملئ بالغرام عن تسمية العشق : أُخِذَ العشق من العشقة وتلك عشبٌ ينبت فى البستان فى أسفل شجرةٍ . فهو يتجذّر فى الأرض بداية فينمو ويلتفّ حول الشّجرة ويرتفع ليغشى الشّجرة كلّها ويعذّبها حتّى لا تبقى فى عِرقها بَلّةٌ وينهب كلَّ ما تحصل الشّجرة من الغذاء عن طريق الماء والهواء فتذبل الشّجرة . الانسان كصفوة الكائنات شجرة في عالمه تتصل بحبّة القلب التي تنبت في ارض الملكوت وكلّ ما فيها حي فهي حبّة فهي حبّة غرسها البستاني الازلي الابدي ويرعاها كما يشاء فتصبح حبّة القلب والتي يدعوها الكلمة الطيّبة شجره طيبة فتظهر منها سوره سوره في عالم الكون والفساد ويسمونها الظل شجرة منتصبة القامة واذا نمت هذه الشجرة ولمّا اصبحت على وشك الاكتمال يبرز العشق في زاويتها ويلتفّ بها الى ان لا يبقى في الانسان بلة البشريّة وكلّما يزداد جذور العشق على هذه الشجرة تصبح صورته وهي الشجره المنتصبة القامة الجسد اضعف واذبل الى ان تنقطع العلاقه بينهما فتصبح تلك الشجره جارية بالاطلاق وتجدر ان تستقر في جنة الاله [٦] .

العشق في لغة أهل المعرفة

يُعَدُّ مفهوم العيش مِن صميم المصطلحات العرفانيّة الأساس في امتداد تاريخ الادب. إنّ العشق في مشهد العرفاء مودعٌ الهيٌّ ويُعَدُّ أمانة إلهيّة وضعت على كاهل الانسان إنّ العرفاء يرون العشق سبب خلق الكون وله في الادب الفارسي جلوتان فجلوته الاولى العشق الجسدي (الانساني) وثانيته العشق الروحاني إنّ العشق الصادق هو اكسير الحياة وحلقة الاتّصال في الحبّ الانسانيّ في تطوّر الحياة البشريّة وما يزيل المفاسد والأدناس . فهو هجرة من الحبّ إلى المحبوب والّذى يوصلهما إلى الوحدة والكمال ويُخلّدها بعدما غرقا فى بحر العشق الهائج.

«أنّ العشق الدّنياويّ السّليم كجسرٍ ثابتٍ يُوصل صوبى العشق إلى شاطئ الرّجاء بعد صباباته ويجعله للملائكة أنيساً أليفاً كما انّ الغراميات العذريّة تُعلى الإنسان وتجعله فى النّهاية عرشيّاً ألوهيّاً.فالغراميّات تحكى النّوايا الباطنيّة للشّعراء الّذين صرفوا أذهانهم وألسنتهم إليها ويُحلّقون بجناحى الخيال والشّعور فى آفاق الحبّ فتطوى السّاحات ويصلون الذّروة فى الفضاء الملئ بهائجة الشّعر فينطلقون إلى خلاء القلب ويُجمعون بالمحبّ الحنون ويُزيّنون أرواحهم بصقال الحبّ ويُضِيئونها(٧).

إذا درسنا الادب الإيراني من القديم الى اليوم نرى لكلمة العشق والجمال مفهوما متّسعا وبصبغة الهية عند البحث عن القضايا العرفانيه انّ العشق يتقادم عهده في العرفان واتصالهما البعض بالبعض يؤكد على ان العرفان طلع من العشق وممّا لا ريب فيه ان الشّعر الصوفي في اللغه الفارسيّة من أهمّ الاحداث التي ظهرت في تاريخ هذه اللّغة انّ هذا الحادث الّذي ابتدأ من بدايات القرن الخامس للهجري سبّبَ نَفخَ الرّوح في قالب الشعر الفارسي وعلى ضوء هذه الظّاهرة اتّسع نطاق الشّعر الفارسيّ منجّما كما احتوت هذه اللّغة على المعاني العرفانيه العميقة المعنوية وتبدلّت فيما بعد الى لغةٍ تُقدَّسُ . كانت اللّغة الفارسيّة –عندما قصد اصحاب المعاني أن يستفيدوا من اللّغة الفارسيّة لبيان أحوالهم وعقائدهم وآرائهم – متمتّعة برصيدٍ شبه فنّىٍّ من الأشعار المختلفة الّتى أنشدها الشّعراء غير الصّوفيّين فأنشد الصّوفية أشعارهم العرفانيّة إعتماداً على هذا الرّصيد نفسِهِ. فكانت الاشعار الصوفيّة او العرفانيّة الّتي ظهرت في القرن الخامس ابتداء بخراسان ومروراً بمناطق اخرى غير مختلفة عن أشعار أنشدت فيما قبل في هذه اللّغة شكلاً وقالباً (٨). لم يكن دخول لفظة العشق وما يعادلها في اللّغة العرفانيّة وما كان متّصلا بهذا المضمون على نحوٍ ما أمراً بسيطاً ولم تكن تظهر دون تشاجرٍ بين اصحاب المعرفه ومناوئيهم ،علاوة على مشاكسة مشايخ الصوفيه فيما بينهم فكانت بدايه هذه المشاكسات والمجادلات عن معاني الالفاظ الّتي كانت تدور حول العشق والتي كان أفضلها وأهمّها نفس لفظة العشق ومعناها والمفهوم الذي كان الصوفيه يقصدونها بالفاظ مرتبطة بها على اساس اشتراك اللّغة والّتي يمكن ان تسمّى لغة الشّعر الغراميّ الصوفيّ الفارسيّ .

إنّ هذه اللّغة لم تُصنَع دفعةً واحدةً وعلى لسان شاعرٍ واحد فكانت بدايته زهاء القرن الخامس في خراسان بعدما تطوّرت على يد الحكيم السّنائي وتسربت الى مدن ناطقة بالفارسيّة.انّ عشقاً –كاوّل منبت الحياة ودافع للشّعور والبشرىّ ذا دور هامٍّ فى الأدب الغنائى العالمى، والذى يتموّج فى الغزليات الأولى فى الشعر الفارسى او الآداب الغنائيّة الأخرى والّذى يظهر فى

الغزليات الفارسيّة بارزا، يعتمد على اجتذاب الإنسان الى الآخر فى أوج البساطة فى مراحله الطبيعيّة وهو العشق الناسوتى.

إنّنا نرى فى الأشعار الاولى أنّه لايلاطف العشق العرفانى والحبّ والغرام إلى مبدأ الحياة والرّوح البشرى الناسوتى لا نه كان فى هذه الحقبة طفلاً حديث العهد بالمشى ناضجاً فى عُقر قلوب العرفاء، دون ايّة جاذبيّة، [٩] فمن الممكن أن نقسم الأشعار الفارسيّة الى قسمين. الأشعار الصوفيّة والأشعار غير الصوفيّة. فكان العشق هو الموضوع الرئيس فى الأشعار الصوفيّة كما ان غير الصوفيّة لم يتغافلوا من هدا الموضوع على وجه العموم. فالشّعراء الصوفيّة وغيرهم نظروا دائماً الى العشق والعاشق والمعشوق كموضوع اصلىٍّ منشدين فى وصفه قدر ما استطاعوا.

فالإنسان كما يشعر بالنقص عند فقد الجنس المعاكس ويحاول إزالته متضجّراً ويُظهر العشق الشَّبِق وهو العشق البدائي –او قل أكثر بدائيا– يسعى أن يزيل النّقص المعنوي وانتقاص الوعي على اكتساب علم الحياه وكيفيتها. والحصول على كمال المعرفة قدر ما يستطاع ويثبت ذروة العشق إثباتا خاصّاً مقدّساً[١٠] إنّ الحبّ والعشق مدلول اجماليٌّ يستعمل فيما بين المخلوقات كما يستعمل فيما يخصّ الخلق بالحقّ فيمكنه أن يكون المحبّ والمحبوب من الكائنات المختلفة فيكونا حيوانين– على سبيل المثال– كحبّ الناقة لابن اللبون او أن يُحبَّ رجلٌ امرأة أو إمرأة رجلاً او حبُّ المؤمنين فيما بينهم، ذكر الله في القران حبَّه للعباد او حبّ خواصّ العباد له فيقول :«يحبّهم ويحبّونه» فالمحبّ في« يُحبُّهم » هو الله تعالى والمحبوب هو العبد في «يُحِبُّونه» أنّ المحبّ هو العبد والمحبوب هو الله تعالى [١١].

إنّ اصطلاح العشق المجازى هو من مصطلاحات الصوفيّة المعروفة وما يُراد من هذه اللفظة عشق الانسان الى أبناء جنسه كعشق المجنون الى ليلى او عشق فرهاد الى شيرين.فالعشق المجازى هو العشق الطبيعىّ نفسه بيد أنّ العشق الطبيعى أوسع نطاقا من العشق المجازى. فالعشق المجازى يستعمل للانسان بينما العشق الطبيعى يُطلق عادة على الحبّ او كل الحيوانات جملة.فالعشق المجازى يقابل العشق الحقيقى الذى يُقصَد منه عشق الانسان إلى الله تعالى فالعشق الحقيقى هو العشق الإلهى نفسه.

إنّ العرفاء يعتقدون أنّ سرّ الكون وسرّ الوجود ليس الا العشق ويُقرِّرونه هكذا:« إنّ تجلّى الجمال وظهور حُسن المعبود الأزلى وتعلّق العلم الأزلى بالحسن الأزلى تتطلّب وجوداً يعشق الى هذا الجمال والحسن الكامل للعشق، وهذا يعنى أنّ الحسن والجمال والتّجلّى للمعشوق يتحقّق عندما يجد متجلّياً له ووجه المعشوق غيرذى وجه إنّما يتصوّر حينما يُوجد مرآة لظهوره،

فأدركنا أنّ الجمال والتّجلّى للحسن الأزلى لم يكن يبرزدون عاشقٍ متيّمٍ للجمال ومرآةٍ تعكس هذا التجلّى والجمال فكان هذا التطلّب والحاجة مدعاة لإبداع العالم وشروع الخلق» [١٢] ويُقدّمون هذا الحديث القدسىّ كمُؤيِّدٍ لكلامهم: « كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أعرَف فخلقتُ الخلقَ لكى أُعرَفَ » [١٣].

إنّ العشق يُشبِهُ هرما ذا وجوه ثلاثة يترأسه الحسن متجليّاً بوجه بشرىٍّ وأوجهه الثلاثة هى العاشق والمعشوق والعشق وقاعدتُه تستقرّ على أرض استعداد فطرة الإنسان فى إدراك الجمال والّذى يُعَبَّرُ عنه فى العرفان خاصّة بالرّوح او القلب، فهذه الروح والقلب غير الّذى فى الأنعام، بل هو لطيفة روحانيّة تُسمَّى روحاً وعقلاً بسبب تعلّقه بقلب الإنسان وصلته بالعقل والرّوح، كما يتباين مع العقل الوصولىّ والمعيشىّ والروح المنطلق عن الفعل والانفعال الجسدىّ والذى يسبّب بقاء الغرائز والحياة الماديّة [١٤].

إنّ دافع العشق يصنع بيداء خضراء ناضرة يُسمّى بالعرفان ينصبّ العاشق فى هذه الجنّة للسّيروالسّلوك ويُحفّزه إلى أن تجرى فى الطّريق المسمّى بالتّصوف دون تعَبٍ وكَلَلٍ حتى يصلَ الى المرحلة الاخيرة او محطّ العشق النهائىّ وهو القوة الخالدة، فتلامذة مدرسة العرفان لم يتجافوا عن اثر العشق واستعمله كلٌّ منهم بأسلوبه الخاصّ، فبعضٌ منهم جعلوا العشق سبب العبور من مقامات السّير والسّلوك عن طريق التقشّف كما استعمله فئة اخري في طريق التّعشّق البحت: فالذين قطعوا طريق التّقشّف اجتازوا مراحل الكمال ومسلك المقامات مع حبّ الوصال إلي الذّات الأحديّة، والّذين اختاروا طريق التّعشّق عبدوا جمال المخلوق كنموذج من ضياء جمال الحق ووجّهوا عشقهم صوبَ المخلوق حتي يلتحقوا بالخالق عن طريق كماله المهذّب [١٥].

فتاريخ الشعر والادب الفارسي يشهد علي أن العشق هو أقوى دافعٍ لطيفٍ شعريٍّ في باطن الانسان وكلما ينبع هذا العشق من منطلق المعنوية وجذبة الجوي لله تعالي بقوة اقوي يدفع قاطع طريق العشق إذا كان متمتّعا بطبع متّزن_ ان يتنعّم بلا هوادة أكثر فأكثر، ولهذا نري أن تجلّيات العشق العرفاني في الشّعر الفارسيّ أعطته أكبر خميرة وأخلده وأغناه في هيكليّته العامّة «العشق والحب من أعلي مبادئ التّصوف وأهمها، فكما أصبحت المسيحيّة مذهب العشق والحب بعد امتزاجه بالافلاطونية المُحدَثة، أصبحت الصّوفيّة_أيضا_ قمة مذهب العشق والحبّ بعد أن مّر بالمراحل المختلفة والخلط بالآراء المتضاربة والآثار الناجمة عن مصادره المنوعة .

إنّ أقوي سبب ثبَّتَ التصوف علي أساس العشق والحبّ هو الإعتقاد بوحدة الوجود ؛ لان العارف حينما يري الله ساريا مي الأشياء كلّها واعتبر ما سواه عدما، فلا معني له إلّا أنه ليس غير الله شيئا[١٦].

«العشق من زمرة الأحوال وهذا يعني أنّه من المواهب الا لهية ذاتياً وليس من المنجزات البشرية، فبما أن الحصول على العشق والتّنوّر بنور الحُبّ هو موهبة الهيّة فالكون بأكمله اذا جهد أن يُطفئ لهيب العشق الحقيقي يعجز عنه .فالعارف يري أن العشق اكبر سّرٍ الهيٍّ وأن كلّ مذهب ومسلك هو وليدُ الحب ولا يخلو كل بنيان عن التّلف غير بنيان الحبّ، فكل ما بنى على العشق والحبّ فهو حقيقةٌ وما سواه ليس الا الفتنة والجلبة وسبب الفرقة والمنازعة ، وبقوة جاذ بية العشق يستطيع العارف ان يتحرّر من رباط الكون ويتّصل ببحر الفقر والعدم ويستغرق فى عالم الوصال .

ليس مذهب أرفع عن مذهب العشق والحُبّ حسبما يرى العارف ، فالعشق هو اساس كل حقيقة والعارف الواقعي يُحبّه بأي شاكلة تجلى ، ويُعَدُّ الإيثار وطهارة القلب والشّجاعة والإيمان وترك هوى النفس وغضّ النظر عن الدّنيا وآلاف الفضائل الأخرى نتيجةَ العشق والحُبّ.

نظرة خاطفة إلى حياة عين القضاة الهمدانيّ

هو أبو المعالى عبد الله بن ابى بكر محمّد بن علىٍّ بن الحسين بن على الميانجي وُلِد سنة٤٩٢ للهجرية في همدان. كان طفلاً ذكيّاً سمَّوه بعبد الله، فهو اسم اشتهر بعد المنتصف الأوّل للقرن السادس بكنية أبى المعالى أو أبى الفضائل . ممّا لا شكّ فيه أنّه قضى ايام طفوليته في همدان في أحضان أسرة ناعمة مشتهرة بالديوانيّة.فكانت تلك الأسرة عارفة بالقيم الثّقافية السائدة على عصرهم وهذا ما سبّب أن ينتفع من طفولته ونشأته انتفاعاً لائقاً ، لانه حصل على قدر من العلوم وأصدر اعمالاً في المعقول والمنقول تدلّ على كثرة ثمره فى هذه الأيّام وهو ابن أربع وعشرين سنة [١٧] إنّه يعرض فى كتابه المسمّى بـ « شكوى الغريب» معرفته الكاملة بعلوم كالرياضيات، العلوم الادبية ، الفقه والحديث.وعلم الكلام والفلسفة والتّصوف وكان متضلّعاً فيها استاذاً فى العلوم الادبية خاصة فى علوم البلاغة والصنائع اللفظية ويعتذر فى مقدّمة كتابه «شكوى الغريب» عن عدم استعمال هذه الضروب من الصّنائع، [١٨] إنّ القاضى الهمداني تعرّفَ على الكلام في شبابه وكان يظنّ أن الكلام يحرّره من التقليد ويُوصله إلى البصيرة العامّة والتامة، ولكن أعماله الكلاميّة لم تُحقق غرضه هذا قطّ، أضف الى ذلك أنّه أرفَقَ آرائه فى أصول العقائد بارتياب وعثرة إلى أن حيّره وأدهشه» [١٩].

ففي هذه الأيّام تعرّف القاضى الشابّ على أعمال محمّد الغزالى وانكبّ أربع سنوات على مطالعة أعماله بالجدّ والنّشاط، وحسبما يعترف – تعلّم كثيراً من أعمال الغزالي ونَسِيَ الحيرة الناجمة عن مذاكرة الكتب الكلاميّة ويُعرِّف نفسَه بأنّه تلميذ كتب الغزالى علانيّة[٢٠] فالقاضى

الشابّ كان يحبّ الشّيخ الرئيس خلافاً للغزالى الّذى كان ينتقد الفلاسفه قادحاً فكان بوعلى مُرشده ومُراده في القضايا العقليّة وحريّة الفكر، كما كان يتّبع المنصور الحلاج فى الشجاعة والجرأة فى إبداء الرأى ولم يكن يخاف مِن خصومة الحاسدين.

عندما تيقّن عين القضاة بعقائده يقينا عقلياً ظنّ أنّه قد وصل الى مقصده ولكن سرعان ما تجلّي له هذه الحقيقة الحاكية عن وجود العوالم الاخرى غير العالم العقلي وسيصل الى تيقّنات أخرى عندما وصل الى تلك العوالم[٢١]. إنّ هذه الحقيقة ظهرت له عندما سافر الغزالي إلى همدان وتمكّن عين القضاة من لقائه فهذا اللّقاء هو اكبر حادث وأهم مثير طيلة حياته. فأحمد الغزالي عندما يرى عين القضاه مريداً ذائع الصيت، بصيراً بالقضايا العرفانيّة يُلاطفه ويُخاطبه بتعابيرك«خلاصة العصر» و«روح العالم» ويُظهِر شوقَ لقائه أكثرَ من مرّة. كان عين القضاة يعرف شيوخ خراسان والجبال وكان يُرافِق «محمّد الحمّوية» و«بركه». فعنايه القاضي الى أبي يزيد البسطامي، أبي الحسن الخرقاني، أبي سعيد أبي الخير والشيوخ الأخرى. ونقل اقوالهم العشقيّة والسُّكريّة ممّا أعطى أعماله خاصّة التمهيدات صبغة ملوّنة من التّصوّف بخراسان[٢٢] إنّ عين القضاة بعد أن تعرّف على أحمد الغزالي وبعد أن اضطرمت في كيانه ثورة روحانيّة والّتي يُعبِّرها بالواقعة يُلهِبُ في كيانه الجوى والحُرقة العرفانيّة إلى أن يمتد بـ «بوح سرّ الربوبيّة» إثر لهيبها. فهذا التّتييم يُوقع العارف الشابّ المهموم في مصير سلفه منصور الحلّاج واستشهد بالسنة ٥٢٥ للهجرية. (بالنار والنفط والحصير) وهو ابن ثلاث وثلاثين. [٢٣].

الدراسة الرئيسة والتحليل

إنّ العشق من أعقد المبادئ العرفانيّة واتّفق العرفاء على أنّه خارجٌ عن نطاق الوصف . يقول عين القضاة: إنّ حديث المحبّين والعاشقين لا يقال تماما وليس لسودائهم نهايةٌ. (جهان عشق فراخ است وتنگ ديده تو/ حديث عشق دراز است وهمتت كوتاه)[٢٤].

إنّه يكتب في التمهيدات: لا يمكن البيان عن العشق الا بإشاره ومثالٍ، والّا ماذا يُقال عن العشق وماذا يليق أن يقال؟ إذا أمكن التعبير عن العشق بالكلام فعاطلون (الفارغون) فى العالَم ليسوا من المعنى والمبنى بمحرومين، وإذا لا تصدّقُني فاقرأ هذه الأبيات:

اى عشق دريغا كه بيان از تو محال است/ حظ تو ز خود باشد وحظ از تو محال است .

انس تو به ابرو وبه آن زلف سياه است/ قوت تو ز خدّى تو ز خالست

عالم الحب فسيح ونظرتک ضيّقة، فحديث العشق مديد وهمّك قصير. يا للحسره بيانك مُحال أيّها العشق إنّ حظّك منك والحظُّ منك محال. فأنسُکَ بالحاجب والذّؤابة السوداء فرزقک من خدّک وحياتك من وَسمتِک.

فيبدو أنّ عين القضاة يعتبر شرح العشق مستحيلا كما يعتبر الكلام عاجزا عن وصفه وبيانه. إنّ ابا المعالى يعتبر الايقاع فى فخّ العشق وتعلّق القلب به الطريقَ الوحيدَ للوصول الى مفهومه بعد عجزه عن الشّرح و التّعريف به ويكتب عنه بمناسبةٍ: عالم العشق عالم رائع لا تراه حتى تُدرِكه[٢٥] ويقول في التمهيدات:« إنّ محارم العشق يعرفون حالته، ولكن ليس نصيب المخنّثين من العشق إلّا الملالة والملامة ... إنّ العاطل لا يعرف عن العشق إلّا اسطورة فإسمُ العشق ودعواه حرام عليك.

فنكران الذات والتّحرّر عن النّفس هو الطريق الوحيد للعشق والتّصابى وإدراك مفهومه حسب رؤيه عين القضاة: «فيا للحسرة ماذا يُمكِن أن يقال عن العشق وأيّة علامة ورسم يمكن ان يُعرَض له وكيف يُعَبَّرُ عن الّذي يخطو طريق العشق وهو فارغ عن نفسه وتَرَكَها ويُضَحِّى بمهجته للعشق. [٢٦] فبتعبيرٍ آخر– حسبما يرى عين القضاة– إنّ العشق الّذي لا يجرى في الدّم والبشرة واللّحم والعروق والعصب فهو ناقصٌ.[٢٧] ولا يهدي الانسان الى مقصده في طريق العشق إذن التّحرّر من النّفس وتفويضها الكامل الى العشق هو الطريق الوحيد لإدراكه». حيثما يُتحدَّث عن عشق العرفاء المتيّمين والعشاق الصادقين والعارف الرباني فهناك يجرى ذكر عين القضاه الهمداني على لسان المتحدّث وبهذه المناسبه ذكروه في المصادر بألقاب كـ شيخ العاشقين، سلطان العُشّاق وما يماثلهما. إنّ الركن الركين في نظام عين القضاه الفكرى هو العشق والغرام كما يظهر في كتابه المسمّى بالتّمهيدات ورسالاته عظمةُ العشق العرفاني وقدرته وهو ما يجعل كلّ طالب ومُحبٍّ مُدهِشاً في بحر التّذوق والغرام لرؤاه السّاحرة الغزليّة التي تختص بأبي المعالى. إنّ القلب يحتاج الى مقدّماتٍ إذا يُريد الوصول إلى الله وقام عين القضاه بكتابة التّمهيدات لهذا الغرض ذاته، فمعنى التمهيد الاعداد والبسط والتّوطئه وكما نعلم أنّ العشق يتمحور على محور العشق ويتحدّث عين القضاة في التمهيد، الاصل السادس عن حقيقة العشق وحالاته.

إنّه يقول في التمهيدات عن العشق :اعلَمِ الحياةَ عن العشق والممات بدونه[٢٨] . فيا ليت العالَم كان عاشقا برمّته حتّى يكون الجميع أحياءً أو متألّهين[٢٩].

إنّ العشق الهي كما يرى عين القضاه ذاتيٌّ وموهوبٌ أودِعَ في فطرة الانسان وسجيّته.« يا أيّها الفتى إنّ حُبَّ اللهِ ورسوله أعِدَّ في فطرة الانسان واختفى فيها»[٣٠] فاعترف عين القضاه في موضع آخر بحريّة العشق :من كان مختارا في العشق ليس له اختيارٌ [٣١]،كما يقول: إنّ المعشوق سلطانُ ولايةِ كيانِ العاشق واحتلّه قهراً وتغلّباً فانصرف عنه الى الكبرياء والنفور [٣٢].

فهو خلافا لأكثر العرفاء والحكماء الّذين يرون العشق حصيل رؤية الجمال_ يعتقد أنّ العشق موجود في الوجود وجمال المعشوق يُفعِّل العشق دون أن يصنعه. إنّ العشق في العرف يحصل برؤية الجمال ، ولكن ما يقرب من ضعف العشق موجود في الوجود ورؤيةُ جمال المعشوق تحت ضوء القوّة يظهر بالفعل ويبرز اثره الظّاهري [٣٣].

العشق في رؤية عين القضاء يعتبر عالما على حده: «فنبسط عالم العشق في هذا التمهيد وإن أحاوِلُ أن اعبر عنه. إنّ العشق يُحيِّرني ويُؤلِمني ومع هذا يتغلّب عليَّ وأنهزِم أنا فما الحيلة أمام العشق!؟ » [٣٤]« فهو يعتبر العشق مذهباً على جانب سائر المذاهب ويتفوّق بأنّ مذهب العشق هو مذهب الإله. فهم على مذهب الإله وملّته لا على مذهب الشّافعيّة والحنفيّة وغيرهما، فهم على مذهب العشق ومذهب الله تبارك وتعالى» [٣٥].

العشق اذا كان على رؤيه عين القضاة مذهب الاله فهو لا يعتبر بدعة، لأنّ كثيراً من الصّوفيّة الملاميّين والعرفاء السكارى يحسبون العشق قاعدة الكون والخلق ، فالعشق الّذى هو قاعدة الكون لا يبعد أن يكون مذهب الخالق كما يكون مذهب المخلوق، [٣٦]

يُبَيِّنُ عين القضاة وجوب العشق وكيفيّة الدّخول في ساحته قائلا: ياللحسرة إنّ العشق هو واجب الطّريق وان لم يكن للجميع عشق الخالق فأعِدَّ عشق المخلوق حتّى تعرف قدر هذه الكلمات. يا للحسره ماذا يُمكِن أن يقال عنه العشق وعن آثاره وكيف يُمكِنُ أن يُعبَّر عنه، إنّما الدّخول في ساحة العشق يتاكّدُ لمن لا يكون مع نفسه وتركها ويُضحِّي بالعشق. إنّ العشق نارٌ حيثما وُجِدَ لا يُمكِن أن يكون هناك متاع غيره واينما وصل أحرق ويجعله للونه مثيلاً [٣٧].

كان القاضي من متّفقين لعشق الاله فكَتَبَ في التّمهيدات :إذا أحبّ اللهُ عبداً أعشقه وعشق عليه فيقول عبدي انت عاشقي ومُحبّي وأنا عاشق لك ومُحِبٌّ لك ان أردت أو لم تُرِد..[٣٨] فهو يعتبر العشق الاداة الوحيدة للوصول الى الله قائلا :«فهمُّ الطالب ألّا يطلب في نفسه غير العشق فوجود العاشق من العشق فكيف يمكن الحياة بدون العشق؟ فاعرف الحياه من العشق والممات بدونه، كما يقول في موضع اخر: من لم يكن العشق في قلبه الطاهر فهو متعجرف مغترٌّ . «فسوداء العشق أنفس من دهاء العالم كما أنّ جنونه يفوق على كلّ العقول ومن لم يكن له عشقٌ فهو مجنونٌ عَبَثٌ ومن لم يكن عاشقا فهو مستبدٌّ بالرّأي حقودٌ فالهوى هو نكران الذات والتعسّف [٣٩].

ممّا لا يحتاج الى البيان أنّ عين القضاة يعتبر إيضاح العشق مستحيلا ويرى الكلام واللّغة عن معناه قاصراً فهو غير قابل للتعريف.فالقاضي بعد أن يُظهِره عجزه عن شرح العشق

وتعريفه يعتقد أن الوقوع في الفخ والغرام هو الطريق الوحيد للتّطلّع بمفهوم العشق ويكتب:« عالم العشق رائعٌ لا تراه حتى تُدرِكَهُ [٤٠].

كما يكتب في موضع آخر:إنّ محارم العشق يعرفونه فحسب [٤١] فنكران الذّات وترك النفس هو الطريق الوحيد الوصول الى مفهومه.

يا للحسرة ماذا يمكن أن يقال عن العشق وماذا يمكن ان يُعرَضَ عنه كعنوانٍ وكيف يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنه، فمن ترك نفسه ويغض البصر عن وجوده ويُضَحِّي بنفسه للحُبِّ يُمكِنُهُ أن يَرِدَ ساحة العشق دون تردّدٍ وارتيابٍ .

فيرى عين القضاة العشقَ ميزةَ الانسان واعتنى بعشق الإنسان الى الله مبدئيا كما استقبل عن عقيده الحكماء ويعتبر الافلاك والطبائع والعناصر الأربعة هي الماء والتراب والريح والنار مشتاقه الى الله.

إنّ القاضي ينظر الى هذه القضيه متباينا ولا يرى ظاهر الكائنات وحركتها الطبيعيّة فحسب، بل ينظر الى حقيقة وباطن العناصر والأفلاك والكواكب كالشّمس والقمر وإلى شوقٍ يراه فيها قد تمكن في فطرتها وكما يقول الفلاسفة: هذا الشوق ذاتيٌّ الكيانات وحسب تعبيره إنّ حقيقة العناصر ليست في عالم الاجسام _وهو عالم الكون والفساد_ بل يراه في عالم الروح فلهذا إذا أراد الإنسان أن يطلّع على هذه الحقيقة والشوق الراهن في الكيانات يجب ان يخرج من عالم الحواس ويَرِدَ عالم الروح فهناك يرى – للمثال– حقيقة النار هي الشوق الى الله...[٤٢].

إنّ القاضي يستعمل هنا من لفظة الشوق ومعناه ويعتبر الافلاك والعناصر مشتاقة الى الله.فالعشق_ كما أشرناه_هو ميزة الإنسان بما انّه يصاحب الماً ومعاناة وحزناً والّذي مغبته فناء العاشق وهو ما نرى قابليّاته في الإنسان بكمالها فالعناصر والافلاك وان تشتاق الى الله ولكنها لا نصيب لها من الالم والمعاناه فنستطيع ان نحسبها عاشقة وما يُعِدُّ الإنسان للعشق والألم والعناء هو وجود القلب، فالعشق يبرز في القلب وإنّ العشق هو ميزة الانسان لانه متمتَّع بالقلب.

إنّ القاضي وان يعتني بالانسان وحالاته في قضيّة العشق عناية مبدئيّة ويعتبر الافلاك والعناصر محجورة عليه، فيتحدث أحيانا عن العشق في الكائنات الأخرى قائلا :« الفراشه تعشق النار. » [٤٣] ؛ و«ألم تر بأن البلبل يعشق الرّيحان واذا وصله لا يقدر ان يمسَّه والشوكةالّتي تقيم تحت الريحان يفتك البلبل لأجله[٤٤].

ممّا يجدر بالذكر أنّ القاضي قد أبدَى هذه التّعابير على سبيل التمثيل والمجاز فيقول القاضي في موضع اخر في تمهيداته: اذا شققتَ صدرَ أصغر نملةٍ يخرج منها حزنا يملأ العالم.. [٤٥]. هذا التعبير يمكن أن يدلّ على تفشي العشق في الكيان كله كما يمكن ان يفهم منه

ذاتيّة الحُبِّ الإلهيّ. فالقاضي يشير علانيةً تفشّي العشق في الأحياء ولا يمكن أن يقال قد يكون قصده التمثيل والمجاز.

لا توجد في التصوف الغزلي ذرةٌ من الكائنات تخلو عن نار العشق الإلهيّ. فالقاضي يعتقد بأنّ كلَّ ذرّة مشتاقة إلى أن يشفي هياجه وشوقه بالوصول إلى الله وما يحقّقه ليس الا العشق ، فلهذا يا ايها العزيز! الوصول الى الله فرضٌ على كل أحدٍ وعلى هذا كلُّ شيءٍ يُوصلك إلى الله فهو فرض عند الطالبين فالعشق يوصل للعبد الى الله ولهذا يعتبر فرض الطريق(٤٦).

ممّا لا ريب فيه أن القاضي لم يستطع ان يتحدَّثَ عن العشق دون الاعتماد على الكتاب والسنّة فهو كسائر الصوفيين يعتبر الحب المذكور في المصحف الشريف بمعنى العشق . فاذا ذُكِرَ الحُبُّ في القران دون العشق فنستطيع ان نقول أن مبادئ العشق هي الجهة فبعده الشوق ونهايته العشق وهو استغراق الحب (٤٧).

فهو يفرض على كلّ سالكٍ أن يربّى عشق الحق في قلبه وأن يوفّر مقدماته، فعلى عقيدته الّذى يدفع السالك الى البحث عن الحق والمعشوق الأزلي في الخطوة الأولى هو ألم الطلب والارادة .

« فا علم أيّها العزيز الماجد أوّل شيءٍ يطلب من الطّالب وأهمّ مقصدٍ للمريد الصادق هوالطّلب والارادة وهو يعني أن طلب الحق والحقيقة لا يزال في الطريق حتى يبرز عليه الطلب فاذا كشف الطلبُ قناعَ العزّة عن جماله وبرفع البرقع عن محيّاه يغير على الرجل حيث لا يبقى عنه شيء حتى لا يميّز هل هو الطالب ام لا؟ (٤٨).

عندما يخطو السالك في وادي الطلب يجب عليه أن يسعى بترك نفسه لأنّه ما لم يفرغ من الأنانيّته لا تُسمَح له عبادة الله قطّ: " ما لم تفرغ من عبادة النفس لن تستطيع أن تعبد الله وما لم تكن العبد لن تتحرّر وما لم تدبر على العالَمين لن تصل الى الآدميّ والآدميّة، وما لم تهرب من نفسك لن تصل اليك، وما لم تخسر نفسك في طريق الله ولا تضحّيها لن تكون مقبولا بحضرته وما لم ترفس الجميع وتُدبر عن الكلّ لن تصبح كلّاً ولن تجد الطريق الى الكلّ وما دمت لم تصبح فقيرا لا تصبح غنيّا وما دمت لم تصبح فانياً لم تصبح باقياً»(٤٩).

علاوة على ترك النّفس والخلاص من تأليه النفس للسّالك ان يُحرِّر النفس من التّعلّقات الدّنيويّة قبل كل شيء، لأنّ التعلّق هو فخّ السالك وشوكة طريقه :« أجل إذا تريد أن تصل الى الحقيقة عن طريق الذّوق فاطّرح العالم الوسخ بكل كائناته والذين يقبلون عليه بهممهم الدنية ولا تعتبر نفسك مغبونا آنئذٍ ولا تَذُر حوله، لأنّ الوقف في طريق الوصل عارٌ على العاشق .» (٥٠)،

واخيرا اذا أسدل السّالك حجاب الفناء على نفسه وعلى كلّ كائنٍ يستطيع أن يقدم إلى وادي العشق الخطر متمنّيا، ولكن يجب أن يُعلَم بأنّه ليس كلّ احد قاطِع هذا الطريق والسالك الجدير بالغطس في هذا اليّم المليء بالدّم هو من ترك الراس بدايةً ويستطيع أن يخسر روحه. «اذا تراقب راسك فكن على شغلك وإلّا فاشتغل بنفسك ،أفلم سمعتَ ذا النّون حينما قال: ان قدرت على بذل الروح فتعالَ وإلّا فاشتغل بترّهات الصّوفية » ،إذا تكفيك قُوتك لقطع قدمك الاوّل فكن في الطريق، والا فماذا تُجديك ترّهاتُ الصوفيّة والمجاز والتكلّفات الصّوفيّة؟»[٥١] .

انّه في التصوّف الغزليّ، تشبه الصلةُ بين الخالق والمخلوق، الرابطه الراهنه بين العاشق والمعشوق والتي تحصل باتّحادٍ او بالحلول مباشرةً، فهي لا تغني العارف المشتاق إلى الوصل عن معرفة الحق. فالمعرفة في طريق العشق هي الكشف والوجه والاشراقات القلبيّة الباطنيّة [٥٢].

إنّ أصل « يُحِبُّهم ويُحِبُّونه » في رؤية القاضي والّذي جاء في هذه الآيه« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وحكمة خلق العالم وآدم حسبما جاء في حديث الكنز المخفيّ:« كنت كنزا مخفيّاً ... » والّذي يشهد كمثالٍ لنظرية التّجلي ومعرفة الحق بعون العشق، يوصلنا إلى هذه النتيجه الحاكية عن ان المحبة هي ثمرة العشق؛ لان العشق قد بني على كمالات المعشوق، وبنيان العشق هو إدراك المصحوب بالمعرفة والعاشق ليس إلّا من أدرك كمالات المعشوق ومن كان له معرفة أكثر بذات المعروف، فيحصل على نصيب أوفر للحُبّ. إذا نرى بعض الصوفيّة قدّموا المعرفة على الحبّ وفئه أخرى قدّمت الحب على المعرفة ولكن القاضي يرى المعرفة والحبّ متلازمين. يرى القاضي:« الحُبّ لا يحصل الا بقدر حصول المعرفة .»[٥٣] فمن ميزات التصوّف مراعاة الإعتدال والتّناسب بين المعرفة والمحبّة في اللّفظ والمعنى والكلام والعبارة كما أنّ الوصول إلى الحقّ يلازم معرفته الّتي لا يمكن أن يحصل عليه من طريق المدرسة وهي خارجة عن نطاق الاستدلال والاحتجاج. فشرط حصول هذه المعرفة هو الكشف والوجه والاشراقات القلبيه والباطنيه للحق الذي لا يوجد غيره شيء، فهو يتمتّع بالكمال والجمال علاوة على الجلال والعظمة وإذا وُجِدَ طريقٌ لإدراك هذا الجمال فهو لا يكون الا طريق العشق دون طريق العقل[٥٤].

فمن أمارات العشق في أعمال عين القضاة هو «احتمال الألم والبلاء والملامة» ويعتبر القاضي الملامة ملازماً للعشق تصحبه دوما، فهو يقول:« إنّ العشق والملامة كانا توأمين وسيكونان معاً. فما علاقة العشق بأصحاب حسن السّمعة»[٥٥]. ويقول في موضع آخر:« قد

يصبح العاشق بلائه ويجرّ نفسه الى البلاء حتى يفنى»[٥٦]. فعلى أيّ حالٍ إنّ الألم والبلاء هما قوت العشق وكل شيء ينقص بالبلاء ويزيد بالنعماء إلّا العشق فهو يزيد بالبلاء وينقص بالنّعماء[٥٧].

و«يا للحسرة ذاك اليوم الذي شنقوا سيّد العاشقين ورائد العارفين، الحسين بن المنصور، المشنقة فقال الشبلي: حدث لي تلك الليلة مناجاة باللّه فقلت: إلهي إلى متى تقتل محبيك؟ فقال: قدرما عندي ديتهم. قلتُ ما هي ديتهم؟ فقال جمال لقائي هو ديتهم، إنّا أعطيناه مفتاح الاسرار ولكنّه أباح بها، فوضعنا البلاء على طريقه ليحتفظ الاخرون بأسرارنا)). فيضيف القاضى قائلا :((إنّک تظن القتل فى طريق الإله هو البلا او يعتبر بلاءً ؟ ليس هكذا والقتل فى طريقنا هو الحياة . ماذا تقول هل من أحدٍ لايُحِبُّ أن يُعطَى حياةً؟[٥٨].

إذن فمن عشق الله علاوةً على احتمال بلاء المعشوق يبحثون عنه مشتاقين ويُعزّونه كالحياه الكريمه .

على كلٍّ حال فللقاضى أقوال أخرى عن اعزاز البلاء وملازمته العذاب : كلّ ما ورد الجسد فهو العذاب وكلّ ما وصل القلب فهو البلا، فياللحسره هل تظن أنّ البلاء يُعطَى كلَّ احد ؟ ماادراک ما البلاء؟ أُمكث حتى تشترى بلاء الله بثمن الرّوح. فقال الشبلى عن هذا الطّلب : ياايّها الإله إذا يطلبک الجميع من أجل اللطف والارتياح ، فإنّى أطلبک من أجل البلاء . فاصبر حتى يفعل معک «جذبة من جذبات الحق» فعلَ الكيمياء ، فعلمتَ ما هو البلاء . فلهذا قال النّبىّ(ص): ((الله يجرّب المومنين بالبلاء كما يجرّب أحدُكم الذَّهَبَ بالنّار)) بمعنى أنّ المومنين يُختبرون بالبلاء كما يُمتَحَنُ الذّهَبُ ببوتقة النار. فيحتمل المؤمن البلاء قدر ما يصبح البلاء عينه والبلاءيصير المؤمن نفسه فحينئذ ليس له خبر بالبلاء)). فيضيف القاضى قائلا :((ان للبلاء أمارة الولاء)).

إذا أرسل الخليل بلاءً الىّ فهو جدير بما أن هذا الخليل يجب ان يكون لأجل البلاء[٥٩].

إنّ معشوقاً يرسمه القاضى هو نفس القهر والبلاء:« إنّنا نعلم أنّ معشوقنا مصحوبٌ بالقهر والبلاء بيد أنّنا فدينا انفسنا ببلائه وقهره ، فمنه البلاء ومنّا الرضا، فمنه القهر ومنّا الودّ))[٦٠] . فقد اختار العاشق عناءه ويتجرّع يوميّاً مأة ألف كاسٍ من العناء على التّوالى))، فيتساوى عنده القهر واللطف، فمِن يده إمّا العسل او السّم، وإمّا السُّكَر او الحنظل، وإمّا اللطف او العسل ، لأنّ من يُحبُّ اللّطف أو يعشق القهر فهو عاشق لنفسه دون معشوقه[٦١].

فمن الأمارات الاخرى الّتى يذكرها القاضى هى عجز العشق، لانه قد يدرک العاشق تفاهته وحقارته بخجلٍ تامٍّ أمام عظمة جلال المعشوق وسطوته فينبع اعترافه بالعبودية وإظهار خادميّته

من حقيقة القلب ليرتفع من حضيض الكون الى قمته ولو يسقط فى بعض الاحيان من منزلته فى بحبوحه العشق ويسيطر عليه الخيبة ،ولكنه يطوى طريق الصبر والأناة ويقوم برسم خراباته ونواقصه. فيقول القاضى :((قد يحدث أنّ العاشق يتحير من كثرة العناء والالم وقوه الإزعاج فى بيداء الهواء إلى أن ينكر العشق فيعتبره منكراً من المنكرات التى اذا تركها قرب [٦٢].

فأمارة العشق الاخرى ((الإنقياد الحازم للعشق)) . فيقول عين القضاه :((إن ابتغاء مرضاة المعشوق رهن طريق العاشق والرضا الظاهر يَكمنُ فى ملاطفة المعشوق)) [٦٣] .فيَعُدُّ القاضى ((الشّهادة فى طريق المعشوق))من الأمارات الأخرى للعشق . فهو ينتقل فى البداية حديث النّبى (ص) عن العشق والشهاده : يايها العزيز فاستمع الى هذا الحديث المروىّ عن المصطفى :((من عشق وعفّ ثم كتم فمات شهيداً)). من عشق فأخفاه ويموت على ذاک العشق استُشهِد، فيضيف قائلا: إننا سنبسط فى هذا التمهيد عالم العشق ولو أحاول أن أغمض العين عنه .

إنّ العشق يُتيِّمنى ويُحيِّرنى ومع هذا يُصبِح غالباً وأصبِحُ مغلوباً، أين إجهادى مع العشق ؟[٦٤] فهذه الغلبة سببت ألّا يعتبر مِن مغبّة امر الحلاج بل وجد أنَّ هبة راسه مدعاة للسّيادة . ((بعد عدة ايام سترى عين القضاة قد وُفِّقَ ان يفدى بنفسه للحصول على السيادة)) [٦٥] كما اعتبر وقد نقلناه فيما سبق القتل فى طريق العشق هو مغزى حياته. «هل تظنّ القتل فى سبيل الله بليّةً وهو ذروة ؟ أليس القتل عندنا حياة فمَن الّذى لايُحِبُّ ان يُعطَى حياة؟»(٦٦).

النّتيجة

طريق العشق هو أساس الفكرة العرفانيّة لعين القضاة الهمدانىّ، فكما يرى القاضى كلّ شئ يبدا بالعشق ويعود اليه ومن سلک وادى الحبّ لايستطيع أن يطير إلى الوجود الحقيقى إلّا بجناحَيِ العشق فيقدر على مشاهدة عالم الحقيقة بالسّير فى مراتبه. ففى نظامه الفكرى أنّ وحدة الوجود تعتمد على العشق والحبّ ، فعلى السالک أن يحاول توفير مشاهدة الحقيقة على بصر القلب باكتساب معرفة العشق وبإزالة الحجب عن عيونه وأن يرى الله فى كلّ الكون جارياً سارياً وحينئذ يعشق كلَّ شي ويُحبّ الأحياء كلَّها لان كلّاً منها مشهدٌ مِن وجود الواجب، فعلي رؤيته العشق الإنساني هو معراجٌ للحصول علي الحبّ الإلهي فيجب أن يُقال: بما أنّ إدراك الحُسن والعشق اللّامحدود للحقّ مستحيلٌ للانسان المحدود فينبغي الإقبال علي العشق الإنساني الّذي يقرب من العشق والحُسن الحقيقي ،لأن الله غير محدود وخارج عن نطاق الإدراك، فهو يري ماهيّة العشق مصحوبة بالألم والعناء والبلاء فيعتبر القهر والبلاء مناط العشق ويَعدُّ آخر العشق الألَمَ والدّواء فعين القضاة خلافا لما يري الآخرون بأن العشق هو حصيل روية الجمال يعتقد أنَّ

العشق هو موجود في الوجود وجمال المعشوق إنّما يُفعِّلُه(أى يُخرجه إلى الفعل) فحسبُ دون أن يُنشئه أو يُوجده فهو يري منطلق العشق هو المعشوق ، كما يري مبدأ العشق الإلهي هو النور الإلهي بسبب الروح القدسيّ.

الهوامش:

(١) عشق از ديدگاه مولوى: ١٣٥٩،٧٢٠
(٢) فرهنگ اشعار حافظ، ١٣٦٨ ، ذيل محبت
٣- بوي جان،١٣٧٢،١٢٣
٤- عشق وعرفان وتجلّى آن در شعر فارسى: ٢، ١٣٤٩
٥- عشق عرفاني ، ٨٣٧٧، ١٦٣
٦- صمدي،١٣٧١،٢
٧- زبان شعر وعشق: ، ١٣٩٤، ٨
٨- بوي جان،١٣٨٧،٢٠
٩- عشق وعرفان وتجلّى آن در شعر فارسى: ١٣٧٠ ، ١٧٥
١٠- عشق وعرفان وتجلّى آن در شعر فارسى: ١٣٤٩،٣
١١- بوي جان: ١٣٨٧:١٨٣
١٢- مكتب حافظ، ١٣٦٥، ٣٥٤
١٣- احاديث معنوي، ١٣٤٧، ٢٩
١٤- در سايه آفتاب ، ١٣٨٨، ٥٦
١٥- عشق وعرفان وتجلّى آن در شعر فارسى: ١٣٤٩، ٣٣
١٦- بحث در آثار واحوال وافكار حافظ :١٣٨٦،١٢٩٣
١٧- خاصيت آينگى: ، ١٣٨٩ : ٧
١٨- عين القضاة، ١٣٨٩، ٤٦
١٩- خاصيت آينگى: ١٣٨٥:٨٠
٢٠- المصدر نفسه
٢١- عين القضاة، ١٣٨٩،٥١
٢٢- خاصيت آينگى: ، ١٣٨٩: ١٥_١١
٢٣- نظر عين القضات همدانى در مورد ابليس وارتباط آن با نظام احسن : ١٣٨٩، ١٤٣٥
٢٤- همدانى، ١٣٧٧، ٢٨١
٢٥- همدانى،٥٨، ١٣٧٧
٢٦- همدانى، ١٣٨٩، ٩٦
٢٧- همدانى، ١٣٧٧، ١٥٥
٢٨- التمهيدات، ١٣٨٩، ٩٨
٢٩- المصدر نفسه: ٩٩
٣٠- همداني ١٣٧٧: ٣٥٥
٣١- همداني، ١٣٧٩: ١٣٢
٣٢- المصدر نفسه ٨٠
٣٣- المصدر نفسه٧٧
٣٤- الهمداني ١٣٨٩ ٩٦

[٣٥]- المصدر نفسه ١١٥
[٣٦]- خاصيت آينگی: ١٣٨٩ : ٨٧
[٣٧]- همداني ١٣٨٩ ٩٧
[٣٨]- المصدر نفسه ١١٢
[٣٩]- المصدر نفسه ٩٨
[٤٠]- همداني ١٣٧٧ ٨٥
[٤١]- همداني ١٣٨٩ ١١٠
[٤٢]- المصدر نفسه ١٦٦
[٤٣]- المصدر نفسه ٢٤٢
[٤٤]- المصدر نفسه ٣٤١
[٤٥]- المصدر نفسه ٢٤٣
[٤٦]- المصدر نفسه ٩٨
[٤٧]- المصدر نفسه : ٩٨
[٤٨]- المصدر نفسه: ١٩
[٤٩]- المصدر نفسه:٢٥
[٥٠]- همدانی، ٨٧:١٣٧٩
[٥١]- همدانی ،١٤،١٣٨٩
[٥٢]- عشق صوفيانه، ٣٥:١٣٤٨
[٥٣]- همدانی:١٥٣:١٣٧٧
[٥٤]- عشق صوفيانه:٥٧:١٣٨٥
[٥٥]- همدانی:٣٦:١٣٧٧
[٥٦]- همدانی:١١٢:١٣٧٩
[٥٧]- المصدرنفسه:١٠٠
[٥٨]- همدانی :٢٣٥ : ١٣٨٩
[٥٩]- المصدر نفسه :٢٤٣
[٦٠]- المصدر لنفسه : ٢٢٣
[٦١]- المصدر نفسه : ٢٢٤
[٦٢]- همدانی : ١٣٧٩ : ٣١
[٦٣]- المصدر نفسه : ٢١
[٦٤]-همدانی : ١٣٨٩ : ٩٧
[٦٥]- المصدر نفسه : ٢٣٦
[٦٦]- المصدر لنفسه : ٢٣٥

المصادر والمراجع:

(١)**احاديث معنوی:** فروزانفر، بديع‌الزمان، چاپ دوم، تهران: اميركبير، ١٣٤٧ش.

(٢)**آفاق غزل فارسی:** ، چاپ دوم، تهران: نشر گفتار، ١٣٧٠ش.

(٣)**باده عشق:** پژوهشی در معنای باده در شعر عرفانی اسلامی، چاپ دوم، تهران: نشر كارنامه، ١٣٨٧ش.

(٤)**بحث در آثار واحوال وافكار حافظ:** غنی، قاسم، جلد دوم وسوم، تهران: هرمس، ١٣٨٦ش.

(٥) **بوی جان:** پورجوادی، نصرالله، . چاپ اول، تهران: انتشارات مركز نشر دانشگاهی، ١٣٧٢ش.

(٦)**تمهیدات:** همدانی، عین القضات، تصحیح عفیف عسیران،چاپ دوم، تهران: منوچهری، ۱۳۸۹ش.

(۷)**خاصیّت آینگی** : مایل هروی، نجیب. (نقد حال، گزاره آرا، وگزیده آثار فارسی عین القضات همدانی)، تهران: نی، ۱۳۸۹ش.

(۸) **در سایه‌ی آفتاب:** پورنامداریان، تقی، ، چاپ سوم، تهران: سخن، ۱۳۸۸ش.

(۹) **رساله لوایح** : به تصحیح رحیم فرمنش، چاپ چهارم، تهران: منوچهری، ۱۳۷۹ش.

(۱۰)**زبان شعر وعشق:** حسینی کازرونی، سید احمد. ، فصلنامه‌ی دُرّ دری، ادبیات غنایی-عرفانی، سال پنجم، شماره‌ی چهاردهم، دانشکده‌ی علوم انسانی دانشگاه آزاد اسلامی واحد نجف‌آباد،ص۱۸-۷، ۱۳۹٤ش.

(۱۱)**زبدة الحقایق:** تصحیح عفیف عسیران، ترجمه‌ی مهدی تدین، چاپ دوم، تهران: مرکز نشر دانشگاهی، ۱۳۷۹ش.

(۱۲)**عشق از دیدگاه مولوی:** رکنی، محمدمهدی. فرخنده پیام، مشهد: انتشارات دانشگاه مشهد، ۱۳۵۹ش.

(۱۳)**عشق در ادب فارسی** : مدی، ارژنگ. چاپ اول، تهران: دانشگاه تهران، ۱۳۷۱ش.

(۱٤)**عشق صوفیانه:** ستاری، جلال. چاپ چهارم، تهران: نشر مرکز، ۱۳۸۵ش.

(۱۵)**عشق عرفانی** : منافی اناری، سالار. ، دانشکده علوم انسانی تبریز، شماره‌ی ۱٦۸، ۱۳۷۷.

(۱٦)**عشق وعرفان وتجلّی آن در شعر فارسی،** صبور، داریوش. ، چاپ اول، تهران: زوار، ۱۳٤۹ش.

(۱۷)**فرهنگ اشعار حافظ** : رجایی بخارایی، احمدعلی. ، چاپ پنجم، تهران: علمی، ۱۳٦۸.

(۱۸)**مکتب حافظ** : مرتضوی، منوچهر. جلد اول، چاپ پنجم، تهران: توس، ۱۳٦۵ش.

(۱۹)**نامه‌های عین‌القضات همدانی** : ، به اهتمام علی‌نقی منزوی وعفیف عسیران، تهران: اساطیر، ۱۳۷۷ش.

(۲۰)**نظر عین القضات همدانی در مورد ابلیس وارتباط آن با نظام احسن:** مستعملی پارسا، غلامرضا، تهران: علم، ۱۳۸۹ش.

Sources and references:

(1) Moral hadiths: Foruzanfar, Badi' al-Zaman, Shab Dom, Tehran: Amirkabir, 1347 AH.

(2) Horizons of Persian Ghazal:, Chap Dom, Tehran: Gaftar Publishing, 1370 AH.

(3) Badah Ishq: The Meaning of Badah in Islamic Mystical Poetry, Chap Dom, Tehran: Karnameh Publishing, 1387 AH.

(4) Research on the effects, conditions, and thoughts of Hafez: Ghani, Qasim, Jalad Doum and Sum, Tehran: Hermes, 1386 AH.

(5) Boy Jan: Borjawadi, Nasrallah,. Chapter One, Tehran: Daneshgahhi Publishing Center Publications, 1372 AH.

(6) Introductions: Hamadani, Ain al-Qudat, edited by Afif Asiran, Chap Dom, Tehran: Manouchehri, 1389 AH.

(7) Aingi's characteristic: Mael Haravi, Naguib. (Naqd Hal, Ghazareh Ara, and Ghazidah Athar Persian Ain al-Qadat Hamadani), Tehran: NI, 1389 AH.
(8) Aftab: Pournamdarian, Taqi, Chap Som, Tehran: Sakhn, 1388 AH.
(9) Risala Lawaih: Corrected by Rahim Farmanesh, Chap Chaharam, Tehran: Manouchehri, 1379 AH.
(10) Zaban Poetry and Love: Hosseini Kazerouni, Sayyed Ahmed. , Faslnameh, Durdari, Ghanāyī-Irfanī Literature, Sal Panjm, Shamarah, Daneshkdeh, Human Sciences, Danishgah, Islamic Azad, Najafabad, pp. 7-18, 1394 AH.
(11) Butter of Truths: Corrected by Afif Aseeran, translated by Mehdi Tadin, Chap Dom, Tehran: Daneshgahhi Publishing Center, 1379 AH.
(12) Love of Didgah Mawlawi: Rakni, Muhammad Mahdi. Farkhunda Payam, Mashhad: Danishgah Publications, Mashhad, 1359 AH.
(13) Love in Persian Literature: Madi, Ergang. Chapter One, Tehran: Danishgah Tehran, 1371 AH.
(14) Love of Sufyana: Sattari, Jalal. Chapchaharm, Tehran: Markaz Publishing, 1385 AH.
(15) Ishq Irfani: Manafi Anari, Salar. , Danishdeh, Human Sciences, Tabriz, Shamarah 168, 1377. (16) Love, Gratitude, and Transfiguration in Persian Poetry, Sabour, Dariush. , Chap Awal, Tehran: Zwar, 1349 Sh.
(17) Farhang Hafez's Poetry: Rajaei Bukharii, Ahmad Ali. , Chap Panjam, Tehran: Scientific, 1368. (18) Hafez's Office: Mortazavi, Manouchehr. First volume, Chap Panjam, Tehran: Tus, 1365 AH.
(19) Namah Ha Ain al-Qadhat Hamadani: with attention to Ali Naqi Manzwi and Afif Asiran, Tehran: Asateer, 1377 AH.
(20) Ain al-Qadat Hamadani's view on the source of Satan and Anne's connection with Nizam Ahsan: Mustafi Parsa, Gholamreza, Tehran: Alam, 1389 AH.